الندوة العالمية حول

"فقه الأقليات في ضوء مقاصد الشرعية: تميز واندماج"

كوالالمبور: 21-23 ذو القعدة 1430 / 9-11 نوفمبر 2009

محمد الطاهر الميساوي *

إن مسألة الأقليات بصورها وتجلياتها المختلفة في العالم كانت دائمًا مسألة حساسة وذات آثار وتعلقات اجتماعية وثقافية واقتصادية وساسية في العلاقات الإنسانية على المستويات الوطنية والإقليمية والعالمية. وتزداد تلك الحساسية بالنسبة للأقليات المسلمة خاصة في زماننا هذا حيث سيطر على السياسة والثقافة في العالم منظور مادي علماني غير مرحب بسعي الناس إلى تأكيد هوياتهم الدينية والالتزام بما يتطلبه منهم إيمانهم الديني من قيم وتعاليم، إن لم نقل إنه معاد لذلك عداءً سافرًا. وإدراكًا لأهمية هذا الأمر وانعكاساته الخطيرة على العلاقات بين المسلمين وغيرهم من أبتاع الأديان وأصحاب العقائد المختلفة، تداعت رابطةُ العالم الإسلامي بمكة والجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا (من خلال المعهد العالمي للفكر والحضارة الإسلامة وقسم الفقه وأصول الفقه) إلى تنظيم ندوة عالمية تتناول القضايا والمشكلات المتعلقة بالأقليات (المسلمة) في ضوء مقاصد الشريعة من خلال معادلة التميز والحفاظ على

* أستاذ مشارك في قسم الفقه وأصول الفقه ومدير تحرير مجلة التجديد بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، البريد الإلكتروني: mmesawi@iiu.edu.my ؛ mmesawi@hotmail.com

الهوية من جهة والتفاعل الإيجابي مع مجتمعات البلدان التي يعيشون فيها والاندماج فيها من جهة أخرى. وقد جرى تحديد أهداف الندوة بحيث تخدم وتحقق الغاية الأساسية الآتية: إعادة النظر في التنظيرات الفكرية والصياغات القانونية لمسألة الأقليات في ضوء مقاصد الشريعة ومبادئها الأساسية من أجل بناء إطار نظري وفكري متين وتطوير فقه مقاصدي واقعي وحيوي قادر على توليد حلول ناجعة لمشكلات الأقليات في ظل النظام الدولي السائد بوحداته السيادية المتمثلة في الدول الوطنية القطرية وبمواثيقه وقوانينه الدولية ومؤسساته العالمية والإقليمية، وذلك على نحو يمكن تلك الأقليات من تحقيق معادلة مرضية تحفظ عليها هويتها الدينية وخصوصياتها الثقافية من جهة وتيسر لها الانخراط والاندماج في المجتمعات التي تعيش بين ظهرانيها.

وفي سبيل ذلك تمت دعوة أكثر من خمسين عالِمًا وخبيرًا من ذوي الاهتمام بقضايا الأقليات من جميع قارات العالم ليعالجوا جوانب مختلفة لموضوع الندوة. وقد استجاب لتلك الدعوة ثلاثون عالِمًا وباحثًا من ماليزيا وتايلاند والصين والمملكة العربية السعودية ومصر ولبنان وكوريا الجنوبية وسري لانكا وجزر الفيجي والهند وكندا وبريطانيا وزيلاندا الجديدة وفرنسا والأرجنتين. وقد تناولت البحوث المقدمة من هؤلاء العلماء والخبراء عددًا كبيرًا من المسائل والإشكالات التي تتصل بحياة الأقليات المسلمة ووجودها في مختلف قارات العالم، فمنها ما ناقش قضايا فلسفية وعقدية وقانونية وفقهية تتصل بالمبادئ الأساسية والقيم الخلقية والروحية العالمية التي تمثل القاعدة الضرورية والمضمون الجوهري في النهج الإسلامي للتعامل مع إشكالية العلاقة بين الأقلية والأغلبية بصورة عامة. ومنها ما تضمن عرضًا تاريخيًّا ورصدًا أفقيًّا لأوضاع بعض الأقليات المسلمة (كما في كوريا الجنوبية والأرجنتين والصين وسريلانكا وتايلاند) مع التركيز على المشكلات التي تواجهها في مجالات التعليم والأسرة والأحوال الشخصية، وفي المجال الاقتصادي والسياسي والفرص المتاحة لها من حيث مدى المشاركة والتمثيل سعة

وضيقا. كما تناولت بعض البحوث صورة الأقليات المسلمة خصوصًا والمسلمين والإسلام عمومًا في وسائل الإعلام وفي الإنتاج الثقافي لغير المسلمين في البلدان التي تعيش فيها تلك الأقليات، وعرضت السبل والوسائل التي يمكن بها مواجهة الحملات المنظمة التي تشن من حين لآخر لتشويه الإسلام والمسلمين.

ومن القضايا الرئيسة التي تكاد تتقاطع عندها كل بحوث الندوة بصورة مباشرة أو غير مباشرة واستقطبت جانبًا مهمًّا من النقاش تلك التي تتعلق بالمنهج اللازم تطويره واتباعه في الفتاوى التي تعالج مشكلات الأقليات. فقد برز اتجاه واضح يدعو إلى ضرورة اتباع نهج في الفتوى يقوم على العمل المؤسسي والمقاربة المنهجية الشمولية المستندة إلى الإحاطة العلمية الدقيقة بأوضاع الأقليات من أجل التعامل مع مسائل الفتوى لا على أنها شؤون أفراد منعزلين بل على أنها جزء من كل حيوي ومتحرك هو وجود الأقليات المسلمة بأبعاده المختلفة وقضاياه المتنوعة المتشابكة مع الواقع العام الذي يحيط بها. ومن القضايا الرئيسة التي برزت كذلك خلال بحوث الندوة ومناقشاتها قضية ما يمكن أو ينبغي على المنظمات والمؤسسات الإسلامية العالمية والإقليمية (كمنظمة العالم الإسلامية ورابطة العالم الإسلامي) والحكومات المسلمة أن تقوم به من أجل أداء واجبها نحو الأقليات غير المسلمة في الداخل والأقليات المسلمة في الخارج.

هذا وقد حضر الجلسةَ الافتتاحية للندة أكثر من 300 شخص، كما لم ينقص حضور باقي جلساتها عن 150 شخصًا خلال الأيام الثلاثة لانعقادها في فندق رينا سونس بمدينة كوالالمبور Renaissance Hotel. وافتتح الندوة رسميًّا السلطان الحاج أحمد شاه المعتصم بالله سلطان ولاية باهانغ والرئيس الدستوري للجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، حيث ألقى خطابًا أكد فيه أهمية موضوع الندوة ومغزى انعقادها في ماليزيا في الوقت الذي انعقدت فيه. وكذلك لفت السلطان نظر المشاركين إلى كون مسألة الأقليات عمومًا والأقليات المسلمة خصوصًا ذات آثار

وتعلقات بعيدة المدى بسبب التطورات الكبرى التي حصلت في سياق العولمة بمعطياتها وأبعادها المختلفة، وختم خطابه بشكر رابطة العالم الإسلامي على تعاونها مع الجامعة الإسلامية في إقامة الندوة.

من جهة أخرى خاطب الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي الجلسة الافتتاحية معربًا عن تقديره لما حققته ماليزيا من نهضة وإنجازات كبرى في المجالات الحياتية المختلفة، وشاكرًا الحكومة الماليزية على سماحها بعقد الندوة على أراضيها. كما أكد الدكتور التركي الاهتمام الخاص الذي توليه الرابطة لقضايا الأقليات المسلمة في العالم بوصفها جزءًا لا يتجزأ من الأمة الإسلامية، وأنها لذلك تحتل الصدارة في سلم الأولويات لما تخططه الرابطة من برامج وتنفذه من مشروعات. وفي ختام خطابه شكر الأمين العام للرابطة الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا عامة والمعهد العالمي للفكر والحضارة الإسلامية وقسم الفقه وأصول الفقه خاصة على حسن التعاون ودقة التنظيم اللذين لولاهما لما انعقدت الندوة على الصورة المتميزة التي جاءت بها.

وكذلك خاطب الجلسةَ الافتتاحية للندوة الأستاذ الدكتور سيد عربي عيديد مدير الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا بكلمة رحب فيها بالمشاركين وأعرب عن تقديره لما تقوم به رابطة العالم الإسلامي في سبيل قضايا الإسلام والمسلمين في العالم، كما أكد أهمية موضوع الندوة وما يتعلق به من قضايا ليس فقط بالنسبة للمسلمين في ماليزيا وفي سائر أنحاء العالم، بل بالنسبة لكل إنسان مسلم أو غير مسلم وذلك لعلاقة هذا الموضوع الوطيدة بقضايا التفاهم والتعايش السلمي بين الأفراد والشعوب والأمم على نطاق العالم. وفي ختام كلمته شكر المديرُ الرابطةَ على مبادرتها الكريمة بالتعاون مع الجامعة الإسلامية العالمية على تنظيم ندوة حول هذا الموضوع المهم، معربًا عن أمله في أن يكون ذلك قاعدة الانطلاق لمزيد من التعاون المثمر في المستقبل.

وقد خُصصت الجلسة الختامية للندوة التي عقدت بإحدى القاعات الرئيسة بالمجمع الأساسي للجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا لتلاوة توصيات الندوة وبيانها الختامي. وسبق ذلك كلمةٌ لممثل المشاركين ألقاها المفكر والسياسي اللبناني المعروف الأستاذ محمد السماك وأخرى لممثل اللجنة التنظيمية الدكتور مدثر عبد الرحيم أستاذ الفكر السياسي الإسلامي بالمعهد العالمي للفكر والحضارة الإسلامية، حيث أشادا بالجهود التي بذلتها الأطراف المختلفة لإنجاح الندوة ودعيا إلى زيادة الاهتمام بالقضايا المختلفة التي أثيرت خلال جلسات الندوة. كما خاطب الأمين العالم لرابطة العالم الإسلامي الجلسة الختامية مؤكدًا ضرورة الالتزام والمتابعة الجادة لما جرى تقديمه من آراء وأطروحات من أجل تحويلها إلى برامج عمل قابلة للتنفيذ حتى لا يبقى الأمر مجرد حبر على ورق. ثم تبع ذلك تلاوةُ البيان الختامي والتوصيات التي تتكون من ستة عشر مادة أساسية تشتمل على ستة وثلاثين بندًا، ينتظمها جميعًا تأكيد ضرورة تحويل ما دار في الندوة من رؤى وأفكار إلى برامج تطبيقية وخطط عمل لمواجهة المستقبل. وفي ختام هذه الجلسة جرى تبادل الهدايا التذكارية بين الرابطة والجامعة الإسلامية العالمية.